نقد دعوى الإسلام التعددي عند حسن حنفي

أحمد محمد زايد

أستاذ مشارك في الأديان والفكر الإسلامي

كلية الشريعة-جامعة قطر - قطر

ملخص البحث: يقر الإسلام التعدد لكنه دين واحد لا يتعدد، ومع هذا فإن دعاة الحداثة يصرون على تعدد الإسلام ذاته، فينوعونه إلى إسلامات ناشئة تارة عن المكان، وأخرى الطائفة، وهكذا، حتى قرروا أن هناك إسلاما علماني، وآخر ليبرالي وثالث اشتراكي، وهلم جرا، الأمر الذي أوقع الحيرة في نفوس الكثير من المسلمين ليتساءلوا: أي إسلام نطبق؟ وإلى أي إسلام ننتمي وندعو؟

وجاء هذا البحث لينقد وينقض تلك الدعوى التي صدَّرها لنا د حسن حنفي مفسرا الإسلام تفسيرا ماركسيا، متجاوزا بتفسيراته كافة المناهج العلمية والموضوعية في البحث العلمي، زاعما أنه امتداد فكري وإصلاحي لمدرسة رشيد رضا، وسيد قطب ومصطفى السباعي.

الكلمات المفتاحية: حسن حنفي-الإسلام العلماني - اليسار الإسلامي - الواقع-العلمانية -الوحي -السيطرة-الحداثة -الإسلام الاشتراكي.

A Critique of Hasan Hanafi's Assertion Concerning Islamic Pluralism

Ahmad M.Zayed

Associate Professor of Religions and Islamic Thought

College of Sharia-Qatar University - Qatar

ahmad.zayed@qu.edu.qa

Abstract: While Islam recognizes pluralism, it also states that it is but one singular religion. However, many modernists insist on the pluralization of Islam and often classify Islam based on geography or sect. Because of this, they conclude that there are secular, liberal, socialist, and many other versions of Islam. This leaves many confused as to which version of Islam Muslims should apply and which type of Islam Muslims should identify and propagate.

This paper was written as a refutation of Dr Hassan Hanafi's Marxist interpretation of the Quran. Dr Hanafi transgressed all scientific and objective methodologies in his research, as he alleged to have embodied the intellectual and reformist thought of Rashid Rida, Sayyid Qutub and Mustafa Al-Sibai.

Keywords: Hasan Hanafi, Secular Islam, the Islamic Left, Reality, Secularism, the Revelation, Control, Modernism, Socialist Islam.

https://doi.org/10.29117/jcsis.2018.0201

© 2018 Zayed, licencee ***JCSIS***. This is an open access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (CC BY-NC 4.0), which permits any noncommercial use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original author(s) and sources are credited.

المقدمة

دعوى الإسلام التعددي

يعترف الإسلام بالتعددية الفكرية والعقائدية والحضارية، باعتبارها سنة الله تعالى في خلقه، ويتفرد رب الناس بالوحدانية بلا نظير ولا شبيه ولا مثيل (قل هو الله أحد، الله الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحدا[1]. ولم يقف الإسلام عند مجرد الاعتراف بالمخالفين بل يحث أتباعه على الانفتاح عليهم، والإفادة مما لديهم، ويأمر بإعطاء المخالفين حقهم دون حيف، وأوضح مثال على ذلك اعترافه بأن المسيحية واليهودية ديانتان سماويتان في الأصل اعتراهما التحريف، ومع هذا التحريف الحاصل يوجب الإسلام على المسلم الإيمان بموسى وعيسى عليهما السلام، والإيمان بالتوراة والإنجيل المنزلين من عند الله تعالى، ورتب أحكاما تتعلق بالعلاقة بين المسلمين وهؤلاء الكتابيين منها حل نكاح نسائهم، وأكل ذبائحهم، والوفاء بذمتهم.

والتعبير عن الإسلام بأنه دين يُقرُّ بالتعددية ويعتبرها من سنن الوجود، غير التعبير بأن الإسلام ذاته متعدد، فمرة يكون ليبراليا، وتارة يكون علمانيا، وأخرى يكون اشتراكيا أو قوميا أو عقلانيا أو غير ذلك. فالفارق كبير في المضمون والنتيجة.

وفي هذه الدراسة محاولة للرد على د: حسن حنفي،[2] في دعواه (تعدد الإسلام) أو (الإسلام التعددي)، تلك الدعوى التي شاعت وذاعت على ألسنة وبأقلام طائفة مؤثرة من خصوم الإسلام بأنواعهم وصنوفهم، وبخاصة الماركسيين العرب الذي يملكون منصات إعلامية عديدة يصلون من خلالها إلى عقول جمهرة عريضة من المسلمين، ولا يخفى الأثر الذي أحدثته تلك الدعاوى الخطيرة من أثر فكري ملموس، حتى رأينا من المسلمين من يصنف نفسه مسلما علمانيا، أو مسلما ليبراليا، أو مسلما قوميا دون حياء أو مواربة.

وقد بلغ من تأثير تلك الدعوى وكثرة ترددها أن تولَّدت لدى البعض حالة شك في حقيقة الإسلام، تبعها رفض المشروع الإصلاحي الإسلامي، والتبرير عند من أصيبوا بذلك هو: (أنه لا أحد يدري أي إسلام يجب أن

(١) سورة الإخلاص.

(٢) حسن حنفي: أكاديمي مصري من مواليد **١٩٣٥** م، من مفكري ودعاة التيار اليساري، تخصص في الفلسفة، تدرج في سلك التدريس بجامعة القاهرة، إلى أن أصبح رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب بتلك الجامعة، له مؤلفات عديدة تعبر عن مشروعه الفكري. يبلغ من العمر الآن **٨٢** سنة.

ينتمي إليه أو يعمل به أو يدعو إليه)، بعد أن أوهمت تلك الدعوى الزائفة بوجود (إسلامات) متعددة، تأخذ حيناً - حسب أصحابها- طابعاً أيدلوجياً كالعلمانية والاشتراكية والقومية والليبرالية وغيرها، وحيناً آخر طابعاً إقليمياً كالإسلام السعودي، والآخر المصري الأزهري، والثالث التركي والرابع الإيراني، أو الطابع الحركي أو الفكري كالإسلام الوهابي، أو الجهادي، أو الإخواني، أو الصوفي.

مشكلة البحث:

يجيب البحث عن سؤال مهم هو: هل يتعدد الإسلام ويختلف باختلاف مكان وجوده، وطبيعة حملته ودعاته؟ وهل يمكن للإسلام أن يلتقي مع الأيدولوجيات والمذاهب والفلسفات البشرية، حتى يصير الكل شيئا واحدا بلا فرق ولا تمييز، بحيث يصح وصف كل واحد منهما بصفة الآخر؟

فرضية البحث:

وتأتي فرضية لتأكيد أن الإسلام واحد لا تعدد فيه، وأن القول بتعدديته دعوى باطلة ومشبوهة، ذات أصول ومنطلقات وافدة، كما هو الحال عند حسن حنفي.

أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى تصوير دعوى تعدد الإسلام، أو بالأحرى الإسلام المتعدد، ونقدها نقداً علمياً، وبيان الأخطاء العلمية والمنهجية المسلوكة في إثباتها عند حسن حنفي، دون التعرض للرد على تفاصيلها وجزئياتها.

منهج البحث:

يعتمد البحث في الجملة على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي والمنهج النقدي.

بناء البحث: جاء بناء الدراسة مكونا من مبحثين:

المبحث الأول: دعوى الإسلام التعددي عند حسن حنفي-المصطلح والمضمون.

المبحث الثاني: نقد دعوى الإسلام التعددي عند حسن حنفي.

الخاتمة.

المبحث الأول: دعوى الإسلام التعددي عند حسن حنفي-المصطلح والمضمون.

في سياق ما يعرف في الواقع الفكري المعاصر بـ(حرب المصطلحات)، ظهرت دعوى (الإسلام التعددي)، على لسان د حسن حنفي، وإن كان المقصد في حقيقة ما كتبه الوصول إلى: (الإسلام المتعدد) لرسم صورة جديدة للإسلام تسلخه عن حقيقته، فتدخل فيه ما ليس منه، وتسوي بينه وبين غيره من الأفكار البشرية شرقيها وغربيها، وفي هذا المبحث نتناول تلك الدعوى على ما هي عليه بلسان صاحبها حسن حنفي، وذلك فيما يلي:

- **حسن حنفي وكتابه: (الوحي والواقع).**

كتب حسن حنفي في مشروعه الفكري كتبا مثيرة للجدل، حاول فيها تفسير الإسلام تفسيرا ماركسيا حداثيا بعيدا عن الحقيقة والموضوعية، ومع هذا يعتبر نفسه وريث مدرسة محمد رشيد رضا وسيد قطب -رحمهما الله- وامتدادا لهما، مع أن مشروعه على النقيض من ذلك تماما، ومن بين كتبه في مشروعه هذا كتاب: (الوحي والواقع، تحليل المضمون)، يقع في **٣٣٢** صفحة، أصدرته مؤسسة النشر الجديد بألمانيا، والكتاب كشكول موضوعات لا يربطها رابط فقد تكلم في كل شيء تقريبا، ولم يفد كثيرا إلا تمرير معلومات ومفاهيم هي محل نظر وتحتاج إلى رد، وقد قمنا بشيء من ذلك في هذه الدراسة.

وموضع الشاهد الذي تعالجه هذه الدراسة هو جملة المفاهيم والموضوعات والقضايا الواردة في الفصل الثاني من كتابه المذكور، وقد عنون هذا الفصل بـ "الإسلام التعددي" من (ص**٢٧** إلى **٧٧**)، وقد بناه كله على فكرة مركزية هي: أن للإسلام تصنيفات عديدة وصل بها حنفي في العناوين الرئيسة من هذا الفصل إلى خمسة عشر عنوانا، وفي التفصيل أوصل (الإسلامات) التي ذكرها فوق هذا العدد إلى ثلاثين إسلاما تقريبا، فماذا قال حسن حنفي في هذا الفصل؟ وماذا يريد؟ وفي أي سياق جاء كلامه؟

توسط هذا الفصل بين الفصل الأول وعنوانه: "كيف يفسر القرآن" والفصل الثالث وعنوانه:" الأرض"، قسم حنفي الإسلام وعدده إلى: (الإسلام المستنير، الإسلام العقلاني، الإسلام العلمي، الإسلام الإنساني، الإسلام التقدمي، الإسلام الليبرالي، الإسلام الديمقراطي، الإسلام البرجماتي، الإسلام الإصلاحي، الإسلام الاشتراكي، والإسلام الوطني، الإسلام القومي، والإسلام الأممي، والإسلام العلماني، ثم ختم بعنوان كبير (اليسار الإسلامي اعتراضات وردود) تلك هي العناوين الرئيسة للفصل المذكور حملت أربعة عشر إسلاما بدأت بالإسلام المستنير وانتهت بالإسلام العلماني، وإن شئت قلت بالإسلام اليساري.

وبالدخول في ثنايا الفصل نلحظ أن حنفي لم يكتف بهذه التصنيفات تحت دعوى الإسلام التعددي وإنما أضاف أصنافا أخرى للإسلام يحسن إيرادها كذلك في هذا السياق حيث ذكر :(الإسلام الأصولي، والإسلام السلفي، والإسلام النصي، والإسلام المحافظ، والإسلام التقليدي المنغلق، والإسلام العنيف الرافض، والإسلام الواقعي، الإسلام الخرافي والأسطوري، الإسلام الطبيعي، والإسلام الممكن، والإسلام المستحيل، الإسلام المادي، الإسلام الكهنوتي، الإسلام السلطاني، وهكذا تتتابع التسميات بين يدي حنفي وتتكاثر على مدى صفحات كتابه المذكور.

صور الإسلام التعددي كما تضمنتها دعوى حنفي:

أولا: حول الإسلام المستنير التباس المفهوم وسوء التفسير:

(الإسلام المستنير) أول نوع من (الإسلامات) من فصل (الإسلام التعددي)، ويشرح حنفي هذا النوع من الإسلام ويفسره باتجاهين أو تفسيرين:

الأول: التفسير بالمتقابلات:

فالإسلام المستنير الذي يتبناه حنفي ويدعو إليه هو ذلكم الإسلام الذي يقابله ثلاثة أنواع من الأنواع المرفوضة هي:

١- ما يسميه حنفي بالإسلام الأصولي أو السلفي أو النصي.

٢- وما يسميه بالإسلام المحافظ أو التقليدي المنغلق.

٣- وما يسميه بالإسلام العنيف الرافض.

فيقول: (وسط هذا الانتشار الواسع للإسلام (الأصولي) بفعل تركيز المستشرقين والقوى السياسية الغربية والذي يسمى أحيانا أخرى بالإسلام السلفي أو الإسلام النصي، ومن خلال سيادة الإسلام المحافظ والذي يسمى الإسلام التقليدي المنغلق، ومن ثنايا الإسلام العنيف الرافض الذي وصف بالإرهاب في الخارج والداخل .... في وسط هذا الركام كله يبرز الإسلام المستنير كإسلام مغاير)[1]، وهنا يفسر حنفي الإسلام المستنير بأضداده حسب رؤيته وفلسفته التي يسجلها، وزيادة في إيضاح مراده يأتي بالنمط الثاني من تفسيره للإسلام المستنير وهو:

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (سوريا: مركز الناقد الثقافي،١٤٣٢هـ-٢٠١٠م)، ط الأولى، ص،٢٩.

التفسير بالأعمال والمهام:

حيث يناط بالإسلام المستنير انبثاقه من وسط ركام الإسلامات التي أطلقها حنفي في نصه السابق ليقوم بعدة مهام وأعمال هي حسب كلامه:

١- الدعوة إلى حوار وطني وبناء جسور مع التيارات المتنازعة، وإنشاء حوار بين الدولة وخصومها.

٢- إزالة الاستقطاب بين الدولة وخصومها الإسلاميين وإنهاء العنف المتبادل بينهما.

٣- حماية الصف الوطني الداخلي من الانشقاق، ومنع انفراد الحزب الحاكم بالسلطة، وضرورة المشاركة السياسية، وإنهاء الخصام المفتعل بين الإسلاميين والعلمانيين.

٤- ومن مهامه كذلك إفراز نوع من التعددية الفكرية والسياسية داخل صفوف الإسلاميين والتيارات العلمانية[١].

ويرى الباحث وجاهة تلك المقترحات التي يدعو إليها حنفي، ولكن الاعتراض على تسمية هذا ذلك (إسلاما مستنيرا)، لأن هذا والإطلاق يجعل الإسلام الذي يدعو إليه خليطا ومزيجا جامعا بين العقلانية والليبرالية والديمقراطية والعلمانية، مع التقدمية والاشتراكية، كل ذلك في نص غريب مثير يقول فيه حنفي: (والإسلام المستنير ليس تيارا واحدا بل تتعدد تياراته وأسماؤه، فهم الإسلام الإصلاحي أو العقلاني، سليل الأفغاني ومحمد عبده، وقاسم أمين، ومصطفى عبد الرازق، وطه حسين، ومحمد حسين هيكل، والعقاد، وهو الإسلام الليبرالي الديمقراطي أو حتى العلماني عند مصطفى عبد الرازق وخالد محمد خالد، وهو الإسلام التقدمي الاشتراكي الإنساني عند مصطفى السباعي وسيد قطب)[٢] إلى أن يختم ذلك بالبوح بتوجهه الصريح في تفسير الإسلام قائلا: (وهو اليسار الإسلامي الذي يعيد فهم الإسلام بناء على تحديات العصر السبعة الرئيسية)[٣]. وما اليسار إلا الفكر العربي الماركسي.

ويختم الحديث عن الإسلام المستنير بقوله: (وأخيرا هو الإسلام الواقعي الذي يبدأ من مصالح الناس وما تعم به البلوى وما يمس كل مواطن، وتتأثر به كل أسرة. هو الإسلام الذي يعطي الأولوية للمصالح العامة على

---

(١) انظر: حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٢٩-٣٠). وانظر كذلك:

Bachtiar, H. (2018). Towards a progressiveinterpretation of ummah. Indonesian Journal of Islam and Muslim Societies, 8(1), 87-116. doi:10.18326/ijims.v8i1.87-116

(٢) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٣٠).

(٣) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٣٠).

النصوص كما تفعل المالكية اعتمادا على الاجتهاد في صوره المتعددة من قياس واستصلاح واستحسان واستصحاب ومصالح مرسلة، هو إسلام عمر بن الخطاب الذي يوقف حد السرقة عام المجاعة)[١].

تعقيب ومناقشة:

وتعليقا على ما سبق يمكن القول بأن حنفي مارس جملة من المغالطات والخلط وسوء التفسير، من هذه المغالطات:

١- تصوير أن هناك أكثر من إسلام وليس إسلاما واحدا، ومعلوم من الدين بالضرورة أن الإسلام دين واحد لا يتعدد.

٢- الهروب من تحديد المفاهيم وتعريف المصطلحات، ففي حين يطلق حنفي تلك المصطلحات والعناوين ذات المضامين الخطيرة والمتناقضة، نجده لا يُعرِّف واحدا منها تعريفا يبين ماهيته عنده، أو عند منتحليه وواضعيه، ، ومن الصعب تمرير هذه المصطلحات، دون الوقوف على حدود مضامينها بتعريفات واضحة، وقد قال القرافي:" إذا اختلفتم في الحقائق فحكموا الحدود"[٢]، وقال ابن تيمية:" (ومعرفتنا بلغات الناس واصطلاحاتهم نافعة في معرفتنا مقاصدهم، ثم نحكّم فيها كتاب الله تعالى؛ فكل من شرح كلام غيره وفسره وبيّن تأويله فلا بد له من معرفة حدود الأسماء التي فيه). [٣]

٣- الخلط بين الإسلام والمسلمين حيث سمى بعض التقليديين إسلاما، وسمى المتطرفين من الإسلاميين إسلاما، وسمى الوسطيين إسلاما، ولا شك أن الفرق كبير بين المسلمين أيا كانت توجهاتهم وممارساتهم وبين دين الله تعالى البريء من كل تلك الأوصاف (الرافض، المتطرف، الاشتراكي ...إلخ

٤- الخلط بين الإسلام الذي هو دين الله تعالى، وبين الأفكار البشرية الأرضية بكل ما فيها من كفريات وانحرافات كالعلمانية المناقضة للدين، والقومية التي تهدم مفاهيم الولاء والبراء وهكذا.

٥- الادعاء بأن المصلحة مقدمة على النص الشرعي، يشعر بل يشير بوضوح إلى قصور النص الشرعي عن تحقيق مصالح الناس، بل ويتعارض معها أحيانا ويكون المخرج عند حنفي تقديم المصلحة على النص، ثم محاولة

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٣١).

(٢) شهاب الدين القرافي، الفروق (المملكة العربية السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،١٤٣١هـ-٢٠١٠م) ط بدون، ج: ٤، ص: ٢٠٠.

(٣) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى. (المملكة العربية السعودية، نشر مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م)، ط الأولى، ج ٩/٦٦، ٦٧.

تصوير أن ذلك هو الفقه الذي مارسه مالك رضي الله عنه، وأقام عليه مذهبه، وهذا الادعاء يجافي الحقيقة من جانبين:

الأول: أنه لا تعارض مطلقا بين نص شرعي ومصلحة معتبرة، وقد أجمع المسلمون متقدمهم ومتأخرهم على أن النصوص إنما جاءت لتحقيق مصالح الخلق في العاجل والآجل.

الثاني: أن المصلحة المرسلة وإن كانت من أصول مذهب الإمام مالك، إلا أن مالكا ما قدم المصلحة التي لا نص فيها على أي نص مطلقا كما زعم حنفي، ومعنى احتجاج مالك بالمصلحة المرسلة "أنه كلما كانت هناك مصلحة دينية، أو منفعة دنيوية لم يرد دليل شرعي على إلغائها، أو كانت هناك عادة متبعة في بلد، أو سنة مألوفة بين الناس في أفعالهم أو أقوالهم لا تتنافى مع الشرع، ولا تخالف قواعده فإن الفقه المالكي يقرها ويرحب بها، ويدخلها في منظومته الفقهية، ولا ينتظر قيام الدليل الخاص على شرعية تلك المصلحة بعينها...)[1] وحجة الإمام مالك على صحة هذا الأصل (أن الصحابة رضي الله عنهم عملوا بها، فإن من المقطوع به أنهم كانوا يتعلقون بالمصالح في وجوه الرأي ما لم يدل دليل شرعي على منعها)[2]. فالزعم بأن مالكا كان يقدم المصالح على النصوص زعم باطل، لا حقيقة له لا عند مالك ولا عند غيره من أئمة الإسلام، وإنما كان العمل بالمصلحة المرسلة والقول في حالة عدم وجود نص شرعي.

٦- الاستدلال بفعل عمر رضي الله عنه أنه أوقف تنفيذ بعض الأحكام، إن صح ذلك سندا ورواية- وهي لا تصح- فلعللٍ وفقهٍ قدَّره عمر ووافقه عليه الأصحاب رضي الله عنهم، هي وجود شبهة وهي المجاعة، والمعمول به في الفقه أن الأصل درء الحدود بالشبهات، ولا يعد هذا تعطيلا أو إيقافا للحد، فعدم إقامة الحد لعدم وجود محل له لا يسمى إيقافا أو تعطيلا، إذ الإيقاف والتعطيل إنما يكون حين توجد الشروط وتنتفي الموانع ثم لا يقام الحد، حينئذ يمكن أن نسميه تعطيلا، وليس كذلك الحال في فعل عمر إن صحت الرواية الواردة بهذا الصدد، والإسلام ليس تعطيل أحكام وجب إقامتها بل إقامة ما أمر الله به.

٧- الخلط بين العلماء المسلمين ودعاة المذاهب الفكرية غير الإسلامية كالعلمانية والقومية والاشتراكية وغيرها، فقد سوى بين العقاد وسيد قطب وبين قاسم أمين وطه حسين، وهكذا نرى حنفي يخلط الأمور ويضع الجميع في سلة واحدة على اختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم الفكرية والأيدلوجية.

(١) محمد التاويل، خصائص المذهب المالكي، (المغرب، فاس، ٢٠١٤)، ط، الأولى، ص:١٢١.

(٢) محمد الولاتي، إيصال السالك في أصول الإمام مالك، (لبنان، المكتبة العصرية، ٢٠١٢)، ط الأولى، ص:٥٩-٦١.

ثانياً: حول الإسلام العقلاني:

انطلق حنفي في توسيع دعواه ليجعل ما أسماه (الإسلام المستنير)، السابق ذكره إسلاما يقوم على العقل ضد سلطة النص الديني، معتبرا أن العقلانية حاجة العصر الذي سادته الخرافة، والذي يعتمد على السلطة وليس على البرهان، سواء في ذلك سلطة النص الديني أو السياسي أو غيرها.

ثم اعتبر أن الخضوع لسلطان النص أو غيره من السلطات غير سلطة العقل من شأنه أن يولد الطاعة العمياء والنفاق والانفصام بين الداخل والخارج في الإنسان[١].

وهذه الدعوى تصور ما في ذهن حنفي من قائمة الثنائيات المتصارعة التي لا يعرفها الإسلام، والتي دائما ما يدير معارك حولها في كتاباته المختلفة[٢].، كالنص والعقل كما ذكر هنا، والمقام غني عن إيراد النصوص الشرعية التي تعلي من شأن العمل العقلي، وتذم كل مسلك يهدر فيه العقل، ولا يستطيع حنفي أو غيره الإتيان بنص لا من الوحي ولا من كلام العلماء المسلمين الراسخين يثبت تناقضا بين النص والعقل، أو يشير إلى إهمال عمل العقل، وأشهر عنوان في ذلك كتاب ابن تيمية (درء تعارض العقل والنقل) قديما، وحديثا كتب العقاد (التفكير فريضة إسلامية).

ولم يُخفِ حنفي تأثره بل تبعيته في مسلكه هذا في الفهم والتعبير للغرب حذو القذة بالقذة عندما يقول عن ضرورة وجود الإسلام العقلاني: (وهو ضرورة عصرية نظرا لأن حضارة العصر هي حضارة العقل، فقد قامت الحضارة الغربية الحديثة على العقل ضد سلطة الكنيسة وبطليموس وأرسطو، وبدأت بشعار (أنا أفكر إذا أنا موجود)[٣] إلى أن قال قولاً شنيعاً - وهو الذي يزعم أنه فيلسوف إسلامي، قال (وكما تعاملت الحضارة الإسلامية في فترتها الأولى مع حضارة اليونان وهي حضارة العقل وأنتجت الفلسفة الإسلامية كذلك تتعامل الحضارة الإسلامية الآن مع الحضارة الغربية لتنتج الإسلام العقلاني المستنير)[٤] وكأننا في حاجة إلى إنتاج إسلام جديد يكون مصدره العقل والفكر الغربي.

(١) انظر/ حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٣٢).

(٢) انظر/ حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٣٢)، وكتابه "اليمين واليسار في الفكر الديني" كله جمع لهذه الثنائيات المتصارعة وبخاصة، وكذلك كتابه (الدين والتحرر الثقافي من ص (١٥-٢٨)، ومجموعة كتبه (من العقيدة إلى الثورة بأجزائها الخمسة كثيرا ما يدور حول هذه الثنائيات.

(٣) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٣٢).

(٤) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٣٢).

تتوالى تلك المجازفات العلمية من حنفي فيحاول إيجاد دلائل لضرورة انتاج إسلام عقلاني، فبحث في التاريخ ليأتي بمزيج متناقض لإثبات دعواه ، فخلط بين فعل الفلاسفة غير المسلمين اذ اعتبر تصوراتهم للعقل حجة لازمة للانتقال من الإسلام النصي السلفي إلى العقلاني، ومزج بين ذلك وبين توجهات المعتزلة والفلاسفة المسلمين والصوفية والأشاعرة والأصوليين وإخوان الصفا والأنبياء والعلوم الرياضية في مسألة العقل ليثبت ضرورة اعتماد العقل في كل شيء ويبرهن على أن (الإسلام المستنير له رصيده عند القدماء والمحدثين، وهو استئناف للجوانب العقلانية في تراثنا القديم، والتراث الغربي الحديث في مرحلة جديدة من مراحل تطور الحضارة الإسلامية)[١]، ثم يدعو حنفي إلى الشجاعة والمواجهة في تغيير المنقولات وعلومها حتى لو وقعت مذابح كما وقعت في الغرب حال مواجهته الكنيسة إبان الثورة العلمانية التي نحَّت الدين وحاصرته هناك[٢].

وحنفي بحكم اتجاهه الماركسي[٣] يعتقد كما في نصوص له صريحة (أن النقل ليس معيارا للحقيقة)[٤]، ويقول كذلك) ولو تعارض النقل مع الصالح العام يُؤَّل النقل لحساب المصلحة كما قال مالك،... لا تقل لي قال الله وقال الرسول، المصلحة أساس الشرع)[٥]، وهذا الموقف العقدي والفكري لحنفي ليس غريبا فهو رافض رفضا صريحا مطلقا لسلطة النص مبررا ذلك بأمرين الأول: بتاريخية النص، فعنده أن كل استعمال للنص خارج مناسبة وروده أو نزوله فهو إساءة استعمال له، كما هو إساءة للواقع كذلك بينما العقل حاكم في كل لحظة وفي كل واقع، والثاني: عدم الثقة في مصحف عثمان فلربما ضاعت آيات عند بعض الصحابة ولم يدونها عثمان، فكأننا أمام نص ناقص، وهذا يجعلنا نشك في هذا النص الذي ضعفت سلطته بضعف الثقة في طريقة ومنهجية جمعه[٦]، فالعقل والحس إذاً حاكمان دائما على النقل غير الموثوق به عنده، فنظرته مثلا إلى السنة كلها أنها صياغات أدبية قام بها المحدثون للتعبير عن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول حنفي عن أحاديث السنة المطهرة:) هي تاريخ من حيث إنها جزء من أدب العصر وثقافته، ولكنها أدب من حيث إنها من اختيار المحدث وذوقه الأدبي، وهذا لا يمنع من تطابق افتراضي بين الشكل الأدبي الذي اختاره المحدث، والشكل الأدبي الذي تحدث فيه الرسول، فكلاهما عربي الرسول والمحدث).

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٣٤).

(٢) حسن حنفي، محاضرة له في جمعية علمانيون بمصر: https://www.youtube.com/watch?v=IAvfiJP1K60

(٣) لسنا ندعي الماركسية على حنفي بل إنه نفسه يصرح بذلك، حيث يقول عن نفسه: (أنا هنا ماركسي أكثر من الماركسيين) وقال: "أنا ماركسي شاب وهم ماركسيون شيوخ) انظر: فهد القرشي، منهج حسن حنفي دراسة تحليلية (٢٣٣).

(٤) حسن حنفي، محاضرة له في جمعية علمانيون بمصر: https://www.youtube.com/watch?v=IAvfiJP1K60.

(٥) حسن حنفي، محاضرة له في جمعية علمانيون بمصر: https://www.youtube.com/watch?v=IAvfiJP1K60

(٦) حسن حنفي، محاضرة له في جمعية علمانيون بمصر: https://www.youtube.com/watch?v=IAvfiJP1K60

ثالثا: حول الإسلام العلمي:

هذا (هو أحد مسميات اليسار الإسلامي في مقابل الخرافي والأسطوري)[١] وحول هذا المعنى اجتهد حنفي بأسلوب المناورة والالتواء في الهجوم على الغيبيات باعتبارها كما قال أمرا (لا يمكن السيطرة عليه[٢]،معتبرا أن الإسلام إنما (يبدأ من عالم الشهادة ويعتمد على الحس والمشاهدة وشهادة الحواس التي اعتمدها القرآن في البرهان....بعيداً عن الغيبيات السمعية التي تخرج عن دائرة البرهان العقلي، وهو الجانب الذي تضخم في العقود الأخيرة لصعوبة رؤية الواقع والشهادة عليه)[٣].

ثم يكمل حنفي كلامه حول هذا المعنى لتحويل الإسلام إلى دين مادي مصدرا وتوجها، لا يلبي إلا احتياجات الواقع، وقد حاول أكثر من مرة الهروب من عبارة الإسلام المادي إلى مرحلة لم يستطع إخفاء ما في نفسه فنطق بها قائلا:) ولو أن لفظ مادي كان له معنى تداولي إيجابي لأمكن استعماله، حينئذ يعني الإسلام المادي الاهتمام بحياة الناس وسعادتهم في الدنيا، بأرزاقهم ومعاشهم وتعليمهم وصحتهم وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية في مقابل الإسلام الكهنوتي المنغلق) إلى أن يقول (فالعقل والطبيعة هما الركيزتان الرئيستان للوحي)[٤] وهكذا يستمر حنفي في حشد كلام مهم وغير مهم، ومنطقي وغير منطقي محاولا إثبات مادية الإسلام فقط وأن هذه المادية الواقعية العلمية تنأى به عن الغيبيات غير المشاهدة، وأن الإسلام فقط هو ما يمس واقع الناس ويحل مشكلاتهم، فإن الوحي -كما زعم- يتكيف (طبقا لتطور الزمان والتدريج في التغير الاجتماعي)[٥]، وقد رام حنفي من طرحه لهذه التسمية تسريب فكرته المادية الماركسية لتحل محل المفهوم الإسلامي القاضي بأن الوحي مصدره إلهي لا مادي، من ذلك قوله (فالعقل والطبيعة هما الركيزتان الرئيستان للوحي)، وهذا قول لا يصدر من مسلم، لكن الأمر كما يقول محمد عمارة عن هؤلاء اليساريين الماركسيين أنهم: (لم يعودوا يكتفون بنقد الجماعات الإسلامية، بل ولا حتى مناقشة الفكر الإسلامي، وإنما غدوا يخضعون) المقدس الإسلامي) -وفي مقدمته القرآن الكريم - للتحليل الماركسي؟!)[٦] ويكاد يجمع هؤلاء انطلاقا من المادية الجدلية على أن القرآن (قد تشكل وتكون واكتمل في الواقع،

(١) حسن حنفي، علوم الحديث من نقد السند إلى نقد المتن)، (القاهرة، مكتبة مدبولي،٢٠١٢م)، ط الأولى:٣٠٦-٣٠٧.

(٢) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون:(ويقصد بالسيطرة عليها عدم إمكانية البرهنة عليها لا بالعلم التجريبي ولا بالعقل البشري، وهنا يبدو ترديد حنفي لمقولة ديفيد هيوم (١٧١١-١٧٧٩). يراجع كلام هيوم في كتابه مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة: د/ يوسف وهبة، (بيروت، لبنان، دار الفارابي، ٢٠٠٨) ط، بدون ص، ١٨٠-١٨٦.

(٣) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٣٦).

(٤) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٣٥-٣٦).

(٥) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٣٦).

(٦) محمد عمارة، التفسير الماركسي للإسلام، (القاهرة، دار الشروق،٢٠٠٢) ط الثانية، ص،١٠.

ومن نصوص الواقع وثقافته وأبنيته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية) والإسلام كوحي (من الواقع تكون وتشكل واكتمل وانفعل، ثم يعود ليؤثر في الواقع مرة أخرى، وهكذا دون أن يكون هناك أي وجود للنص سابق على الواقع أو مفارق له)[1]، وقد قال ذلك من قبل تلميذه نصر أبو زيد معبرا عن نفس الاتجاه بعبارات صريحة (الواقع هو الأصل، من الواقع تكون النص ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه، ومن خلال حركته بفاعلية البشر تتجدد دلالته، فالواقع أولا، والواقع ثانيا، والواقع ثالثا)[2].

رابعاً: الإسلام الإنساني:

ثم ينتقل حنفي في رحلته في تفسير الإسلام التعددي إلى معنى جديد وهو (الإسلام الإنساني، وبدلا من أن يعالج القضية من طريقها الطبيعي ليثبت عناية الإسلام بقضايا الإنسان وتحقيق مصالحه ودرء المفاسد عنه، وجدناه ينحو منحى آخر يتعمده ويلح عليه وهو الهجوم على الإسلام في صورة الدفاع عنه، فبينما هو يتحدث عن كون الإسلام يجعل الإنسان محوره وهدفه نجده ينتقل سريعا إلى طعن الإسلام في تشريعاته الجزائية قائلا: ومع ذلك اتهم الإسلام بأنه ضد حقوق الإنسان لأنه يعطي الأولوية للحاكم على المحكوم، وللسلطان على الإنسان، ولتطبيق الشريعة على جسد الإنسان ببتر الأعضاء وهي جزء من حقوق الإنسان)[3] والظاهر فيما يبدو لأول وهله أنه سيدرأ هذه التهمة التي زعم أن الإسلام متهم بها إلا أنه هو نفسه في الحقيقة صاحب التهمة وقائلها، ودليل ذلك في عدة مسائل طرحها حنفي ليثبت معنى الإسلام الإنساني منها:

- تقريره (أن أشد ملف قسوة من ملفات حقوق الإنسان هو الملف العربي الإسلامي طبقا للتقارير السنوية لمنظمة العفو الدولية)[4]، وهذا خلط عجيب في حقائق الواقع، فلو كانت التقارير هكذا بالفعل فإن هذه النتيجة إنما هي ثمرة مرة للدكتاتوريات العربية التي تسوق الناس بالحديد والنار بعيدا عن الإسلام، وليس نتيجة تطبيق الشريعة كما زعم حنفي. هذا إن فرضنا أن الحدود تقام فعلا في بلاد الإسلام اليوم.
- أعجابه المطلق بالغرب بل بالمسيحية، أما إعجابه بالغرب ففي (إعلانه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مرتين الأولى أثناء الثورة الفرنسية، والثانية بعد الحرب العالمية الثانية، وأما المسيحية فإن الإله فيها يموت من أجل الإنسان، بينما في الإسلام يموت الإنسان من أجل الله[5].

(١) محمد عمارة، التفسير الماركسي للإسلام، (١٠).

(٢) نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، (القاهرة، سنا للنشر، ١٩٩٤م) ط، الثانية، ص، ١٣٠.

(٣) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون(٣٨).

(٤) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون(٣٨).

(٥) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٤١).

ثم لا يفتأ حنفي أن يسير في سبيله الملتوية لتحقيق أمرين في غاية الوضوح الأول: ازدراء الإسلام تحت ستار نقد الفكر العربي الإسلامي، الثاني: إعلاء قيمة الفكر الغربي بالثناء والإطراء على كل فعل وقول غربي باعتباره نموذجا مثاليا ينبغي اقتفاء آثاره.

خامسا: الإسلام التقدمي:

يبين حنفي معنى الإسلام التقدمي بأنه: (الذي يساهم في صنع التقدم للشعوب، إسلامية أو غيرها)[١] وتحت هذا الاسم الجديد للإسلام حشد كما من المفارقات، أراد أن يخلص منها إلى أن الأمة الإسلامية أمة متخلفة يشهد على ذلك واقعها، ونحن معه في ذلك لكن تخلفها إنما هو على مستوى الإنجاز المادي وليس العقائدي والتعبدي والأخلاقي، ولسنا معه في أن الحل كامن في الالتحاق بركب الحضارة الغربية، أو الفكر الماركسي الذي تشكلت لترويجه جملة من (الأحزاب التي وصفت نفسها بالتقدمية، الحزب الاشتراكي التقدمي، التجمع الوطني التقدمي، وأنشأت وحدة الأحزاب التقدمية، وظهرت دور نشر تحمل اسم (التقدم) كتلك التي أسسها أنصار سلامة موسى، غناه الشعراء ودافع عنه المفكرون في مواجهة قوى المحافظة والرجعية والسلفية)[٢]، تلك هي النقلة التي أراد حنفي أن ينقلنا إليها بدءا وانتهاء، لنلحق بركب الاشتراكية الماركسية التي يعتقدها ويروج لها عبر مشروعه الفكري.

سادسا: الإسلام الليبرالي والإسلام الديمقراطي:

إطلاقان متواليان أضاف بهما حنفي اسمين جديدين للإسلام التعددي كما يعتقد، احتل كل إطلاق منهما ثلاث صفحات من كتابه، على الرغم من أن مصطلح الليبرالية يكتنفه الغموض من كل جانب حتى عند منظريها، ومع ذلك فإن حنفي يدعي أن هناك إسلاما ليبراليا، وعلى الرغم من التناقضات الكبيرة بين الإسلام والديمقراطية فقد حاول حنفي إثبات ما سماه (الإسلام الديمقراطي)، والملاحظ هنا وتحت هذين العنوانين عدة أشياء:

- الإيحاء بأن الحرية الليبرالية تصل حتى إلى العبادات بحيث يسع المرء أن يحقق السمو الروحي الذي هو المقصد من العبادات بدون ممارسة، على اعتبار أن العبادات وسيلة لا مقصد[٣]، وهذا باطل بين البطلان، لا يقوله من يؤمن بالإسلام.
- اعتبار أن وظيفة الحسبة في الإسلام قاصرة على (الكشف عن الزيف في المعاملات والاحتيال في الموازين

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٣٧).

(٢) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون(٤٣).

(٣) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون(٤٥).

والأسعار في الأسواق)[1] أما الإنكار على مُنكِر المعلوم من الدين بالضرورة فيعتبره حنفي مناقضا لمفهوم الحرية، فالإسلام الليبرالي الذي يصوره ويدعو إليه هو الإسلام الذي لا إنكار فيه على شيء حتى ولو كان ذلك الشيء إنكار الثوابت الدينية والقطعيات الشرعية.

- الخلط بين آثار الإسلام وآثار الديكتاتوريات، حيث ساق تقريرا مفاده أن في الوطن العربي عشرين ألف معتقل سياسي[2]، ولا أدري ما علاقة هذا بالإسلام لكي يضطر حنفي إلى اختراع إسلام جديد يسميه الإسلام الليبرالي الذي من شأنه أن يحرر هؤلاء، وقد تجاهل حنفي أن أكثر هؤلاء من الإسلاميين الذين ينادون بالحريات والذين لم يرق مسلكهم للمستبدين، بل حتى دعاة الليبرالية، والسؤال: هل أغفل الإسلام مسألة الحريات ليضطر حنفي إلى المناداة بإسلام ليبرالي يحمي الحريات؟

- والعجيب أن الرجل يورد نصوصا شرعية، وأخرى تراثية إسلامية في تأصيل مسالة الحريات، ثم يقفز فوق كل ذلك وكأنه لا شيء لينادي بإسلام جديد يصفه بالليبرالي[3].

- ولما جاء الحديث عن الإسلام الديمقراطي الذي يدعو إليه، تناقض حنفي تناقضا ظاهرا، فبعد أن تحمس كثيرا واجتهد في الدعوة إلى إليه، انقض على الديمقراطية نقدا وهدما ناصرا الشورى الإسلامية على الديمقراطية الغربية[4]، وهذا ليس غريبا على أسلوب حنفي المعروف في طروحاته المختلفة والذي يوقع قارئه في الحيرة لا يدري على أي أرضية فكرية أو دينية يقف حنفي؟.

سابعا: حول الإسلام البرجماتي:

يقول حنفي عن الإسلام البرجماتي: (اللفظ معرب أيضا مثل الليبرالي والديمقراطي. واللفظ العربي هو الإسلام العملي)[5]. ولا أدري ما هو المترجم أهو لفظ الإسلام أو هو البرجماتي؟ فمعلوم أن الإسلام لفظ عربي قرآني نبوي أصيل، لكنها مغالطات حنفي المعروفة.

يركز حنفي في تصوير الإسلام البرجماتي على مسألتين:

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٤٧).
(٢) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٤٥).
(٣) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٤٦).
(٤) انظر/ حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٤٨-٥٠).
(٥) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٥١).

١. العمل.

٢. النفعية أو المنفعة.

ثم أخذ يسوق من الأدلة الشرعية الداعية إلى العمل وضرورة تحقيق النفع، واستعرض التراث والأفكار الأخرى الشرقية منها والغربية على طريقته المعهودة، محاولا من هذا كله إثبات قضية (العمل والمنفعة) رغم وضوحها، لكنه يمهد للوصول من خلال ذلك كله إلى حتمية "الإسلام البرجماتي"، وهنا نلاحظ:

- اجتهاد حنفي في تلقيح الإسلام بجملة من الأفكار الغربية ومنها فكرة البرجماتية.

- اعتبر حنفي أن الحديث عن الغيبيات من الجنة والنار والصراط والحوض والملائكة ضرب مما لا ينبني عليه عمل وأن الحديث في مثل تلك القضايا هو السبب في ضياع فلسطين وتخلف المسلمين [١].

- لم يخف حنفي إعجابه الكبير بكارل ماركس (الذي نقل الفلسفة الغربية من النظر إلى العمل، ومن فهم العالم إلى تغييره)[٢] فاعتبر ماركس في نظر حنفي نموذجا لتحقيق الجانب العملي النفعي، ولا ندري ما وجه الحاجة إلى وصم الإسلام البرجماتي حتى يكون إسلاما مقبولا لدى حنفي.

ثامنا: الإسلام الإصلاحي:

وبعد تناول الإسلام البرجماتي تطرق حنفي إلى نوع جديد من الإسلام أسماه (الإسلام الإصلاحي)، وهنا يسوق كلاما في غاية العجب والاضطراب لا يجمعه نسق معقول أو مفهوم، حيث يبدأ حديثا تحت عنوان: (الإسلام الإصلاحي) بقوله: (الإسلام الإصلاحي أحد تعبيرات اليسار الإسلامي. فهم لا يدينّ ولا يكفِّر ولا يستبعد أي تفسير آخر، تعلما من تجارب الأنبياء السابقين)[٣] ثم اعتبر أن الإسلاميين ودعاة الإصلاح جماعة من القتلة ودعاة العنف المسلح أو الانعزال. كما اعتبر أن تعامل الإسلام مع غيره من اليهودية والنصرانية والصابئة إقرارا لهم على دينهم واعترافا بصحة معتقدهم، لذا استنبط أن الإسلام لا يكفر أحدا ولا يستبعد أي تفسير، ثم

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٥٢-٥٣)، ونص كلامه في هذه الصفحات: (شغلنا أنفسنا بعذاب القبر ونعيمه، ونكر ونكير، والصراط والميزان والحوض.... ومن القواعد الفقهية القدية أن كل مسألة نظرية لا ينتج عنها أثر عملي فإن وضعها في العلم عار، أي لا يجوز، والكافر العادل عند الله خير من المسلم الظالم).

(٢) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٥٢).

(٣) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٥٤).

يختم ذلك الزعم الباطل بقوله: (والكل يكوِّنُ الأمة الإسلامية المتعددة الديانات والطوائف والملل والنحل)[1]، وقد افترى حنفي على الله كذبا عندما زعم أن الإصلاح الإسلامي أو الإسلام الإصلاحي زمن النبي صلى الله عليه وسلم تضمن تصالحا مع الواقع الجاهلي، ثم ساق صورا مشحونة بالمغالطات وهو يصور ما وقع في هذه الفترة المباركة من تاريخ الدعوة قائلا عن قضايا المرأة : (ولم تكن لها شهادة فأصبحت نصف شهادة، ولم يكن لها نصيب في الميراث فأصبحت نصف وراثة،.....ودور الفقيه الآن هو الاستمرار في روح الإسلام نحو المساواة بين المرأة والرجل من النصف إلى الواحد الصحيح)[2]، ولا شك أن ذلك تصوير غير صحيح، فلم يتصالح الإسلام قط مع الواقع الجاهلي وقد جاء في الأصل لتغييره، ولم تكن شهادة المرأة ولا ميراثها دائما تعدل نصف شهادة الرجل أو ميراثه، ثم إن دعوته الفقيهَ للتسوية بين الرجل والمرأة في أمر نصَّفه الإسلام دعوة باطلة إذ ليس من عمل الفقيه إنشاء حكم أو تغييره، والدعوة إلى الاستمرار في تطوير الإسلام ليتجاوب مع دعاوى الواقع وإكراهاته يصل بنا في النهاية إلى إنتاج مسخ بشري يسميه حنفي إسلاما.

وتحت غطاء الإسلام الإصلاحي يحث حنفي دعاة التغيير والإصلاح الإسلامي إلى ضرورة التعايش والقبول والتطبيع مع الأنظمة الليبرالية والقومية قائلا: "الإسلام الإصلاحي ضد الحاكمية بالمعنى السلفي أي تكفير المجتمع ونظمه القائمة الليبرالية والقومية والإسلامية النصية بل تبدأ من واقع هذه النظم وتجعلها أقرب إلى النظام الإسلامي"[3]. وهذا يوافق منطقه الماركسي أن الكل واحد، والجميع صواب، ولا ندري أيَّ قرب بين الليبرالية والقومية وبين الإسلام؟

ثم أفصح حنفي عن حقيقة مراده بتأكيده (أن كل التيارات الفكرية السياسية الليبرالية والعلمية بل والعلمانية تيارات إصلاحية بالمعنى الواسع أي تغيير الوضع القائم لما هو أفضل، وهذا هو المعنى الأصلي لليسار)[4]، فالإسلام حسب مفهوم اليسار الإسلامي الذي يعتمده حنفي في تفسير الإسلام لا فرق بينه في المنهجية والوسيلة والهدف وبين العلمانية والليبرالية والقومية، وهذا الخلط هو ما يهدف حنفي إلى إحداثه في العقل المسلم.

---

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٥٥).

Kursani, S. (2018). Salafi pluralism in national contexts: The secular state, nation and militant islamism in kosovo, albania, and macedonia. Journal of Southeast European and Black Sea, 18(2), 301-317. doi:10.1080/14683857.2018.1474548).

(٢) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٥٥).

(٣) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٥٥).

(٤) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٥٦).

تاسعا: الإسلام الاشتراكي

وإذا انتقلنا إلى (الإسلام الاشتراكي) نجد حنفي بحكم توجهه الماركسي يفسر الإسلام الرباني المعصوم بالمنهجية الاشتراكية، فيوظف المفاهيم والإجراءات والمبادئ الإسلامية الربانية المتعلقة بمسائل المال والاقتصاد ليخلص في نهاية كلام طويل إلى أن (الإسلام خيار اشتراكي) ويخلص إلى نتيجة عملية هي أن: (أوضاع المسلمين اليوم تحتم هذا الخيار الاشتراكي للإسلام)[1]، وربما يرى البعض أن لا مشاحة في اصطلاح (الاشتراكية)، لأن مفكرا إسلاميا وفقيها من فقهاء الشريعة وهو الدكتور مصطفى السباعي قد وضع كتابا بعنوان :(اشتراكية الإسلام)، فلم لم نعب عليه كما نعيب على حسن حنفي، والحق أن الأمر مختلف تماما، فالسباعي لم ينطلق من الخلفية الأيدلوجية التي انطلق منها حنفي، فمضمون ما ساقه السباعي في كتاب إنما هو تعبير عن فلسفة الإسلام الحقيقية ومنهجيته العادلة في مسائل الأموال، والتقليل من خطر الطبقية، والجدل مع السباعي فقط في استعارته مصطلح (الاشتراكية) الذي كان يغنيه أن يستعمل بدلا عنه مصطلحا إسلاميا أصيلا، بخلاف حنفي الذي يجعل من الإسلام صورة معينة تتلاقى مع الماركسية.

عاشراً: إسلامات أخرى:

لم يكتف حنفي بما سبق من أنواع (الإسلامات) وإنما دعا إلى أنواع وأوصاف أخرى مثل: (الإسلام الوطني) و (الإسلام القومي) و (الإسلام الأممي) و (الإسلام العلماني)، وسار في كل ذلك نحو مساره السابق الذي علقنا عليه.

أما الإسلام الوطني فقد أراد حنفي من هذا الإطلاق تقديم رابطة الوطن الذي هو المكان على غيره من الروابط الدينية والعقدية، ودعا إلى القومية حينا وناقضها حينا آخر، ثم أراد جمع ذلك كله في بوتقة واحدة قائلا: (الإسلام الوطني قادر على لم الشمل بين الإسلاميين والعلمانيين لصالح الوطن، فالإسلامي والعلماني ينتسب إلى نفس الوطن، وكلاهما مواطن في نفس الوطن، والخلاف الأيديولوجي لا يقضي على وحدة الأصل، فإذا قال الإسلاميون (الإسلام هو الحل) وقال الوطنيون (الوطنية هي الحل)، فعند اليسار الإسلامي (الإسلام الوطني هو الحل)[2]، وهنا يريد حنفي أن يختلق معضلة لا وجود لها وهي مشكلة الوطنية، فالإسلام يحترم الوطنية ويدعو إلى

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٥٩). لسنا بصدد فحص مسألة الاشتراكية أو الرد عليها ا، لأن البحث يسير في اتجاه نقض فكرة الإسلام التعددي فقط بصورة عامة، وكذلك كثير من العناوين الأخرى لم يتعرض الباحث للرد عليها تفصيلا لهذا المعنى.

(٢) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٦٣).

حماية الأوطان، وحماية ساكنيها مهما اختلفت عقائدهم، وهذا معلوم واضح، ولسنا بحاجة إلى اليسار الإسلامي الذي يريد أن يأتينا بالإسلام الوطني: ليضع حلا لمشكلة لا وجود لها.

وأما الإسلام القومي الذي هو أحد مفردات اليسار الإسلامي فعند حديث حنفي عنه نجد كلامه مشحونا بالأغلاط العملية والتاريخية والدينية، إذ يعتبر الإسلام بالنسبة للعروبة (أحد تجلياتها ومراحلها التاريخية، كما أن العروبة أحد مراحل تطور الوحي)[1]. وهذا كلام عجيب غير مفهوم، وحاول حنفي محاولة أراد أن تكون علمية لإثبات ما ذهب إليه لكن هيهات، حيث زعم أن لفظة (قوم) تكاثر ورودها في القرآن حيث ذكر أن مشتقاته (ثلاثمائة وثلاث وثمانين مرة، ويعني الجماعة الصالحة العالمة المؤمنة الذاكرة العاقلة الموقنة المعاهدة المحبة. وهي خصائص خلقية مثالية وليست عرقية شعوبية، وتحميل لفظة (قوم) كل هذه الحمولات والمعاني لم يرد لا في لغة ولا في شرع. إذ لا وجود لهذه المعاني إزاء هذا اللفظ بهذا التعميم مطلقا اللهم إلا في عقل حنفي، وما تلك المحاولات إلا للانتصار للقومية الضيقة بكل طريق.

ثم أبدى حنفي ولعه بتقسيم الإسلام وتعداد ألوانه بطريقة غير منهجية أراد من خلالها إثبات إسلام قومي فزعم أن (الإسلام التركي قائم على القومية التركية، وكذلك الإسلام الإيراني أو الهندي أو الصيني أو الأزبكي[2]، وصولا إلى توسيع تلك التعددية إلى الإسلام الإفريقي والإسلام الأوربي والإسلام الأمريكي.

وقد حاول حنفي التخفيف من فجاجة دعواه وصراحتها في تعداد أنواع من الإسلام، فقال على استحياء: (ولا يعني ذلك تعدد الإسلام من حيث مضمونه ورسالته بل يعني فقط فهمه في ظروف وأطر ومواقف حضارية مختلفة)[3] وهذه العبارة التي جاءت بعد ثلاثين صفحة من حديثه عن ألوان من الإسلام مختلفة لا يمكن أن تكون ملجأ لحنفي يعذر بها أو يحمل عليها كل ما سبق، إذ هي في الحقيقة تؤكد نظريته الداعية إلى تعدد الإسلام، لأنها صريحة في الدعوة إلى فهم الإسلام بمعيار الزمان والمكان والقوم والجنسية والبلد والحضارة، فلا داعي إذا من التملص من فكرة التعدد الذاتي للإسلام الذي يحاول الإيهام بأنه لا يقصدها، إذا كان هذا هو المعيار الذي سيحكم فهمنا للإسلام.

وأما الإسلام الأممي: فعبارة حنفي في موهمة وغير دقيقة، حيث اعتبر أن الأمة الإسلامية: (لا تتكون فقط من

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٦٤).

(٢) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٦٤).

(٣) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٦٤).

المسلمين بل من جميع المؤمنين بأديان أخرى داخل الأمة الإسلامية مثل أهل الكتاب، اليهود والنصارى، والصابئة والمجوس، وقياسا عليه أضاف القاضي عبد الجبار (عبدة الأوثان) ويمكن إضافة الديانات الأسيوية الأخرى كالهندوكية، والبوذية والتاوية والكونفوشيوسية، الأمة الإسلامية أمة متعددة الأعراق والديانات ولا تتكون من المسلمين فقط)[١]. ولا أدري هل يريد حنفي بناء على قوله هذا أن يجعل العالم كله بكل أديانه (الأمة الإسلامية)؟ بالطبع هو لا يقصد هذا. أم هل يقصد أن الأمة الإسلامية يمكن أن تقبل في داخلها تعايش هذه الفئات والأديان؟ فإن قال نعم قلنا: إن عبارتك لا تدل على هذا المعنى، وإن قال: لا، قلنا: فما مرادك بما ذكرت؟

واعتقد أن علماءنا عبروا عن ذلك بعبارات دقيقة غير موهمة، فهناك الدولة الإسلامية التي تقبل التعايش وتدعمه بين أبنائها جميعا أيا كان معتقدهم، وهم على اختلاف معتقداتهم يعملون ضمن إطار قانونها، لا فرق بين مواطن وآخر، وهناك الأمة وقد تكون أوسع من مفهوم الدولة فالأقليات المسلمة اليوم داخلة في مفهوم (الأمة) غير داخلة في (مفهوم الدولة الإسلامية)، وكذلك عبر علماؤنا بأمة (الدعوة) وهم غير المسلمين وليس بالضرورة أن يكونوا موجودين داخل (الدولة الإسلامية)، (وأمة الإجابة)، وهم المسلمون سواء أكانوا داخل دولة الإسلام أو خارجها.

إن حنفي بهذه العبارات غير الدقيقة يحدث لبسا وخلطا في المفاهيم والقضايا المتعلقة بالإسلام، من أمثلة ذلك أيضا: الهجوم على الخلافة الإسلامية، والإزراء بالمظاهر الإسلامية والمعروفة بـ(الهدي الظاهر) للمسلم والمسلمة، واعتبار أن تطبيق الشريعة لا يحقق إلا التوترات بين المسلمين وغيرهم غالبا [٢].

ومن أكثر الطروحات شذوذا وتعبيرا عن مراده، هو حديثه عن (الإسلام العلماني)، وقد تناول ذلك في أربع صفحات ذكر فيها أن لا فرق بين الإسلام والعلمانية، ويظهر مزايا الإسلام في الحكم والسياسة بأنها هي الفكرة العلمانية بمقوماتها وأسسها وماهيتها، ويزداد الخلط لدى حنفي عندما يدعي أن الإسلام في فلسفته تجاه نظام الحكم يشبه البروتستانتية تماما، وأنه تأثر (وتعلم من التجارب السابقة، من تجربة موسى وداود وسليمان اليهودية، ومن الصراع بين النصرانية والإمبراطورية الرومانية في المسيحية)[٣]، ولا ندري من الذي تعلم؟ هل الإسلام مشخص في ذات قابلة للتعلم؟ أم أن الله الذي أنزله هو الذي تعلم من التجارب السابقة؟ حاشا لله.

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٦٧).

(٢) انظر: حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون (٦٧-٦٩). يقول حنفي إن الإسلام:)ينأى بنفسه عن الصراعات القبلية والعرقية وإن كان أحيانا يجعل من تطبيق الشريعة أحد أسباب التوتر الذي قد يصل إلى حد الصراع بين المسلمين والمسيحيين).

(٣) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٧١).

ثم يفسر التوحيد الإسلامي بتفسير تفرد به من بين العالمين عندما يقول :(التوحيد ليس عقيدة تتجاوز العقل مثل التثليث، بل هو توحيد الذات الإنسانية وطاقاتها الداخلية والخارجية ضد مظاهر الازدواجية مثل النفاق والرياء وانفصام القول عن العمل، وتوحيد المجتمع ضد التفاوت الطبقي بين الأغنياء والفقراء، وتوحيد البشرية ضد مظاهر العنصرية والتمييز بين الأقوياء والضعفاء وسياسة الأقطاب)[1]، وأشد من ذلك خلطا عندما يقرر أن مقاصد الشريعة الخمسة : (هي أسس علمانية خالصة، والشريعة الإسلامية وضعية تقوم على أسس في العالم ومكونات السلوك البشري)[2] كل ذلك ليخلص إلى نتيجة مسبقة مقررة لديه هي قوله: (فأين الخلاف بين الإسلام والعلمانية؟)[3].

وفي ختام الحديث عن دعوى (الإسلام التعددي) عند حسن حنفي، أقول قد حاولت عدم الاستغراق في الرد أو التعمق في التفاصيل، مكتفيا بإشارات تُلاحظ في التمهيد لكلام حنفي أو التعقيب عليه، لاعتقادي أن كل فكرة تحتاج في الرد عليها إلى بحث مستقل، فالأهم من الانشغال بتفاصيل الردود، هو الوقوف على الخلل المنهجي الكامن في فكر حنفي، وفضح الانحراف في المنطلق والمقصد والانتماء الأيديولوجي، على ما سيظهر في المبحث التالي.

المبحث الثاني: دعوى الإسلام التعددي عند حسن حنفي: بحث في المنهجية والأيدلوجيا:

إن محاولة فهم دعوى حنفي تقتضي بحث المنهجية العلمية التي اتبعها في دعواه، والخلفية الفكرية والأيدولوجية التي تكمن وراءها، وبالنظر في تفاصيل كلام حنفي نلحظ جملة من الأخطاء المنهجية منها:

١- تجاوز الحقيقة والصدق، والاعتماد على مجرد الادعاء:

فكثيراً ما يلجأ حنفي إلى إطلاق دعاوى لا حقيقة لها، ولا دليل عليها، وهذا ينافي المنهجية والموضوعية العلمية في البحث، فحينما تفتقد الدعوى إلى دليل يؤيدها تفقد المصداقية، والقاعدة في علم المناظرة (إن كنت ناقلا فالصحة، أو مدعيا فالدليل)، وقد سقنا نماذج من ذلك من قبل، ادعى فيها أن الإمام مالكا يقدم المصلحة على النصوص، وادعى أن عمر أوقف الحدود[4]، والادعاء بأن الإسلام امتداد لليهودية والمسيحية، وليس شيئا جديدا، وهكذا تقريبا في أكثر ما ساقه ليثبت إسلامات متنوعة.

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٧٢-٧٢).

(٢) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٧٢).

(٣) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٧٢).

(٤) انظر: حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٣١).

٢- القفز إلى النتائج بلا مقدمات، أو بمقدمات غير منتجة

فكثيرا ما يسوق نتائج ويريد الفراغ منها كأنها بدهيات يجب التسليم بمقتضاها، مع أنها لم تنتج من مقدمات سليمة منتجة، فمثلا يذكر أن أمور الغيب لا يمكن السيطرة عليها، يعني لا يمكن إثباتها لا بالعلم ولا بالعقل، وبالتالي علينا أن نعود للواقع والمحسوس ولا نبالي كثيرا بالمغيبات، وهنا مغالطة علمية ولا أعتقد أن حنفي يجهل الصواب فيها، فقد جعل العقل هو وسيلة إدراك المغيبات، ومعيار القبول والرفض في مسائلها، مع أن أمور الغيب ليس العقل وسيلة في إثباتها وتحديدها، وقد عالج الإمام النسفي ذلك في مطلع رسالته في العقائد، مقررا أن (أسباب العلم للخلق ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، والعقل)[١]، وأثبت أن الخبر الصادق نوعان المتواتر، وخبر الرسول المؤيد بالمعجزة وكلاهما يفيد علما ضروريا، وقال في خبر الرسول المؤيد بالمعجزة) وهو يوجب العلم الاستدلالي، والعلم الثابت به يضاهي العلم الثابت بالضرورة في التيقن والثبات[٢]، وهذا الذي ذكره النسفي وهو أمر لم يختلف فيه أهل الإسلام، يفيد أن لكل شيء وسيلة يدرك بها، ولا يصح طلب شيء بغير وسيلته، فالحواس كما قال النسفي: (بكل حاسة منها يوقف على وضعت هي له)[٣]، ومعلوم أن المحسوسات وسيلة العلم بها الحواس ولا يصح طلب دليل علي وجودها لتحصيل العلم بها، غير عمل الحواس السليمة وانفعالها لتحصيل المحسوس، ولا يصح فيها أن تطلب لا بعقل ولا بخبر، فالحواس كافية وموضوعة لتحصيل العلم بها، وأما المعقولات فلا يصح طلب دليل حسي أو غيره على صحتها أو إدراكها، فلا سبيل للحواس لإدراك المعقولات لأنها لم توضع لذلك.

وما لا يدرك بالحس والعقل فسبيل إدراكه هو الخبر الصادق الوارد عن النبي المؤيد بالمعجزة، ومنه الغيبيات التي يريد حنفي تحكيم العقل في إثباتها وإدراكها، وادعى أنه لا يمكن السيطرة عليها، ورتب على ذلك أنه لا يوثق بصحتها كثيرا، وسبب هذا المأزق المنهجي في ذلك -بعد الجهل -كما يلاحظ تطلب الأشياء من غير طريقها وبغير أداتها الموضوعة لها.

٣- شذوذ الفهم وسوء التفسير:

يلاحظ ذلك من خلال تفرده بفُهومٍ تفرد بها دون أهل الإسلام، يظهر ذلك في تفسيره لمعنى التوحيد الذي أشرنا إليه، حيث فرَّغه تماما من مضمونه الشرعي المراد في الوحي، وتفسيره لمعنى (القوم) في القرآن، وسوء

(١) التفتازاني، شرح العقائد النسفية، (الجزائر، مليلة، دار الهدي، ٢٠٠٠) ط بدون ٢٠٠٠، ص: ١٥-٢١.

(٢) التفتازاني العقائد النسفية، ١٥-٢١.

(٣) التفتازاني العقائد النسفية، ١٥-٢١.

تفسيراته للإسلام بجعله علمانيا مثلا رغم التناقض الكبير بينه وبينها، وكذلك بينه وبين سائر الأيدولوجيات والفلسفات الفكرية التي جعلها هي والإسلام سواء.

٤- الهرب من تحديد معاني المصلحات، وحدود المفاهيم

فبينما يريد حنفي أن يجعل من الإسلام كل تلك الأوصاف المتعددة والمتناقضة من علمانية وليبرالية واشتراكية وقومية، لم يكلف نفسه عناء تعريف واحد لأي منها، ولم يبين المساحة المقبولة أو المرفوضة منها، وبالتالي يقع في خطئين منهجيين هما: التعميم، والجمع بين المتناقضات التي لا تجتمع ولا ترتفع، ليدخل بذلك في تأويل باطل غير ملائم لأحد الطرفين الإسلام أو الأوصاف الأخرى، وقد رأيناه يفترض حالة ما في الواقع ويبنى عليها أن الإسلام لابد أن يكون ليبراليا أو علمانيا ليتواكب والحالة الواقعة.

٥- مخالفته قوانين الفكر الإنساني المعروفة:

وهنا نسأل حنفي: هل يُقبل إذا اتفقت فكرة ما في بعض أجزائها أو مسائلها مع الإسلام، أن يتحول الإسلام بها تلقائيا ليكون هو هي؟ اعتقد أن ذلك مخالف لقوانين الفكر الأساسية التي لا تغاضى حنفي عن اعتبارها، ومنها قانون الهوية، الذي يؤكد على أن الشيء هو هو، ولا يصح أن يكون هو وغيره في ذات الوقت، والخطأ في هذا القانون يستتبع بالضرورة الوقوع في خطأ في القانون الثاني وهو قانون (عدم التناقض)، فلا يمكن أن يوصف الشيء بوصف ونقيضه معا، وتطبيقا على مسلك حنفي يكون الإسلام إلهيا وبشريا في ذات الوقت، وهذا جمع بين الإسلام ونقيضه في ذات الوقت ومعلوم أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان.

٦- تجييش الأعداء التاريخيين للإسلام والمد الإسلامي:

بعدما أزعجت الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي بل في العالم كله الماركسيين وهددت مشروعهم الفكري، لم يشأ حنفي أن يدخل المعركة مع الإسلاميين وحده لأن ذلك أكبر منه ومن أمثاله، فتوجه ليجمع المتناقضين فكريا الذي يجمعهم قاسم مشترك وهو العداء للإسلام وللصحوة، فحشد مع توجهه الماركسي اليساري الصريح، كافة التوجهات الأخرى التي تقف في مواجهة المد الإسلامي مثل الليبراليين والعلمانيين والقوميين وقد قال: (وكل سمات اليسار الإسلامي مطالب فعلية للعصر، فهو إسلام مستنير لحاجة العصر إلى العقلانية..، وهو إسلام ليبرالي لحاجة العصر إلى الحرية....وهو إسلام اشتراكي جماعي لحاجة العصر للعدالة الاجتماعية والمساواة...، وهو إسلام قومي نظرا لمخاطر التجزئة والتفتيت للأقطار...، وهو إسلام إنساني نظرا لخرق حقوق الإنسان في عصرنا...،

وهو إسلام تقدمي نظرا لتصنيف الشعوب العربية والإسلامية ضمن الدول المتخلفة...)[١]، وهذا دأب خصوم الإسلام حيث يوالي بعضهم بعضا في معركتهم الموحدة ضد الإسلام.

٧- الخلط والتلبيس: ويظهر ذلك في:

- تسمية قراءات البشر للإسلام إسلاما.
- ادعاء أن أي قراءة للإسلام مقبولة.

فلو سمى حنفي التوجهات الفكرية التي ذكرها قراءات للإسلام لهان الخطب، فمن حق كل اتجاه أن يقرا الإسلام كما يريد، ثم يحكم أهل الاختصاص في مدى صحة تلك القراءات من عدمها، لكن المشكلة أنه سماها: (إسلاما)، فأنتج بذلك مجموعة (إسلامات)، وهذا طعن في الإسلام نفسه، حيث جعل الدين الإلهي الحق المعصوم بذلك مسخا بشريا يحتمل كل تلك الأكاذيب البشرية التي تحملها كافة التوجهات الفكرية التي أوردها حنفي من (العلمانية والاشتراكية والقومية والليبرالية واليسارية ....الخ).

وعلى فرض إحسان الظن بالرجل بحمل تعبيراته (الإسلام العلماني أو الاشتراكي أو غير ذلك) على أنها قراءات متعددة للإسلام، فإن التلبيس والخلط والتزييف يتجلى دون خفاء، وذلك باعتبار أن أي قراءة للإسلام مقبولة أيا كانت تلك القراءات، حتى لو كانت قراءات الكفار المزيفة والمتناقضة مع الإسلام، ومع منهجيات البحث والنظر والاجتهاد والفهم المعتمدة لدى أهل الإسلام.

٨- الانطلاق من أيدلوجيا غير إسلامية في تفسير الإسلام

من الواضح أن حنفي ينطلق من منصته وخلفياته الماركسية، فهو يصرح بأيدولوجيته ويدعو إليها دون مواربة، وقد خصص جزءا من الفصل الثاني بعنوان (اليسار الإسلامي اعتراضات وردود) دافع فيه عن فكرة اليسار بكل قوة ودعا المسلمين إليها، باعتبارها الحل لكل المشاكل بلا استثناء[٢]، ولم يتفرد حنفي دون أمثاله من منتحلي فكر اليسار بنظرية تعدد الإسلام، وإنما معتقد جلهم أو جميعهم أن الإسلام ليس واحدا بل متعدد، يقول نصر أبو زيد وهو من تلامذة حنفي: (إن الإصرار على إسلام واحد، ورفض التعددية الفعلية يؤدي إلى نتيجتين بصرف النظر عن نوايا هذا الكاتب أو ذاك. النتيجة الأولى: أن للإسلام معنى واحدا ثابتا لا تؤثر فيه حركة التاريخ،

(١) حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (٧٥) بتصرف.

(٢) راجع: حسن حنفي، الوحي والواقع، تحليل المضمون: تحليل المضمون (٧٤-٧٧).

ولا يتأثر باختلاف المجتمعات، فضلا عن تعدد الجماعات بسبب اختلاف المصالح داخل المجتمع الواحد، النتيجة الثانية: أن هذا المعنى الثابت يمتلكه جماعة من البشر هم علماء الدين قطعا، وأن أعضاء هذه الجماعة مبرؤون من الأهواء والتحيزات الإنسانية الطبيعية)[1].

ولا أدري هل يعلم حنفي أن فكرة تعدد الإسلام وصلاحيته لأن يكون جامعا لكل الأخلاط الفكرية والدينية سماويها وأرضيها حقها وباطلها، إنما هي فكرة جاءت على يد مؤسسي الشيوعية الماركسية ودعاتها حلا للمشكلة اليهودية التي لا يمكن حصوله إلا بالانخراط في الاشتراكية التي تقوم بتذويب كافة الأديان في بوتقتها.

والسؤال الأخير: هل الإسلام يتعدد؟:

وبعد الفراغ من عرض الدعوى وبيان الخلل العلمي والمنهجي في صناعتها، يأتي السؤال المذكور وجوابه:

الإسلام الذي أنزله الله تعالى متمثلا في الوحيين (الكتاب والسنة)، واضح وضوح الشمس في رابعة النهار وهو إسلام واحد، لا يتعدد ولا يتنوع، فيه أصول وفروع، وقطعيات وظنيات، ومتفق عليه ومختلف فيه، له منهجية منضبطة في فهمه وتطبيقه، وقد أنزل هذا الدين ووجد قبل أن يرتبط بوطن أو إقليم، أو ينتسب لمذهب أو شخص، أو تتبناه جماعة أو تيار، إنه دين الله تعالى.

وحتى بعد وجود الإسلام في صورة تطبيقات نبوية في أرض كالمدينة المنورة، أو دولة الخلافة، وبعد ظهور المذاهب الفقهية والفرق الكلامية والتيارات السياسية بقي الإسلام ناصعا محفوظا من جانب المصدرية والمضمون، ولم يحدث أن اعتبر المسلمون تطبيقاتهم وفهومهم له أنها ذاتها هي الإسلام.

ثم وضعت العلوم المنضبطة المؤصلة الخادمة في فهم الدين وتفسيره، في إطار منظومة معرفية متكاملة لم يعرف التاريخ لها نظيرا، وعاشت الأمة هذه القرون الطويلة لا تعاني من أزمة مثل التي حصلت اليوم بافتعال هؤلاء الحداثيين والعلمانيين وأضرابهم تلك الثنائيات المتضاربة، بعد أن حملوها من الغرب ونقلوها إلى ساحتنا الفكرية، فأنشأوا تعارضا بين الدنيا والآخرة، وتضاربا بين المعقول والمنقول، وصراعا بين الرجل والمرأة، وتنافرا بين المدني والديني، وحربا بين العلم والدين، ومعارك بين القديم والحديث والأصيل والمعاصر وهكذا، مع أن الإسلام عالج تلك المتناقضات والثنائيات، وحدد المنهج الراشد في فهمها والتعامل معها، لئلا تقع تلك الصراعات في أذهان المسلمين كما وقعت في عقول هؤلاء الحداثيين، وكما يريدون أن يوقعوها.

(١) نصر أبو زيد، نقد الخطاب الديني (٧٩).

وقد يكون مؤسفا أن يقع مثلها أحيانا أو كثيرا بين بعض أصناف الإسلاميين في هذا العصر، فتكون ضمن معيقات الوحدة والنهضة الإسلامية.

الخاتمة:

ونختم هذا البحث بأهم النتائج:

١- لا يزال تيار فكر اليسار يعمل ويتحرك ويبحث عن مساحات جديدة له في ساحاتنا الفكرية، متعاونا مع نظائره من الأفكار والتيارات المناهضة للإسلام.

٢- إن مصطلح الإسلام التعددي وما تفرع عنه من مصطلحات، كلها باطل بطلانا ذاتيا، لمنافاته الحق والحقيقة.

٣- الإسلام دين واحد لا يتعدد، ويقبل وجود التعددية الدينية والفكرية وغيرها في الواقع باعتبار ذلك سنة كونية وقدرا إلهيا لا تنفك عنه الحياة، ومحاولة الخلط بين نقل تلك التعددية إلى الإسلام نفسه بحيث يكون هو كل الواقع بحقه وباطله، ووصف ذلك كله بأنه إسلام هذا من أبطل الباطل وأكذب الكذب.

٤- الوقوف على الخلفيات الفكرية والأيدلوجية لأي باحث يساعدنا على تفكيك فكره وفهم مراده وتحديد مقصده.

٥- لا تحتاج أمتنا متى فهمت دينها بصورة راشدة أن تبحث هنا أو هناك عما ترقع به حياتها، أو تتأرجح بين تيارات فكرية وفلسفية متناقضة ومتضاربة.

٦- تصوير البعض أن الإسلام هو المتسبب في مشكلات الأمة وتخلفها المعاصر عن ركب الحضارة محض افتراء، بل الحل والنهوض يكمن في تفاعل الأمة مع إسلامها تفاعلا قويا ودقيقا وشاملا.

٧- لابد من التفريق بين الإسلام الرباني الكامل المعصوم، وبين أفهام البشر عند تعاملها مع الوحي المعصوم.

٨- لا ندعو إلى قطيعة فكرية أو حضارية مع أمم الأرض، لكننا نحرص مع الانفتاح أن نحافظ على صفاء عقيدتنا، ونقاء إسلامنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولا-المصادر والمراجع العربية:

- ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى. (المملكة العربية السعودية، نشر مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، **١٤١٦**هـ **١٩٩٥**م)، ط الأولى.
- التفتازاني، سعد الدين، شرح العقائد النسفية، (الجزائر، مليلة، دار الهدي، **٢٠٠٠**) ط بدون.
- حنفي، حسن، محاضرة له في جمعية علمانيون بمصر: https://www.youtube.com/watch?v=IAvfiJP1K60
- حنفي، حسن، الوحي والواقع، تحليل المضمون، (سوريا: مركز الناقد الثقافي،**١٤٣٢**هـ-**٢٠١٠**م)، ط الأولى.
- حنفي، حسن، اليمين واليسار في الفكر الديني، (سوريا، دمشق، دار علاء الدين للنشر والترجمة، **١٩٩٦**)، بدون.
- حنفي، حسن، الدين والتحرر الثقافي، (مصر، القاهرة، دار الشروق) كتاب إلكتروني بدون معلومات.
- القرافي، شهاب الدين، الفروق (المملكة العربية السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،**١٤٣١**هـ-**٢٠١٠**م) ط بدون.
- القرشي، فهد، منهج حسن حنفي دراسة تحليلية، (المملكة العربية السعودية، الرياض، **١٤٣٤**)، ط الأولى.
- هيوم، ديفيد، مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة: د/ يوسف وهبة، (بيروت، لبنان، دار الفارابي ،**٢٠٠٨**) ط، بدون.
- التاويل، محمد، خصائص المذهب المالكي، (المغرب، فاس، **٢٠١٤**)، ط، الأولى.
- الولاتي، محمد، إيصال السالك في أصول الإمام مالك، (لبنان، الكتبة العصرية، **٢٠١٢**)، ط الأولى.
- عمارة، محمد، التفسير الماركسي للإسلام، (القاهرة، دار الشروق،**٢٠٠٢**) ط الثانية.
- أبو زيد، نصر حامد، نقد الخطاب الديني، (القاهرة، سنا للنشر، **١٩٩٤**م) ط، الثانية.

ثانيا-المصادر والمراجع الأجنبية:

References:

- Abu Zayd, Nasr Hamid, Naqd Al-Khitab Al-Dini, (In Arabic), (Cairo, Sina li Al-Nashr, 1994) 2nd ed..
- Al-Qarafi, Shihabuddin, Al-Qarafi, (In Arabic), (Saudi Arabia, Wizarat Al-Shun Al-Islamiyyah wa Al-_ Awqaf wa Al-Irshad, 2010).

- Al-Qurashi. Fahad, Manhaj Hasan Hanafi- Dirasat Tahliliyah, (In Arabic), (Riyadh, 1434 A.H), 1st ed..
- Al-Tawil, Muhammad, Khasais Al-Mathab Al-Maliki, (In Arabic), (Fez, 2014), 1st ed..
- Al-Wallati, Muhammad, Isal Al-Salik fi Usul Mathhab Malik, (In Arabic), (Lebanon, Al-Kutub Al-Asriyyah, 2012), 1st ed..
- Ammara, Muhammad, Tafsir Al-Markisi li Al-Islam, (In Arabic), (Cairo, Dar al-Shuruq, 2002), 2nd ed..
- Bachtiar, H. (2018). Towards a progressiveinterpretation of ummah. Indonesian Journal of Islam and Muslim Societies, 8(1), 87-116. doi:10.18326/ijims.v8i1.87-116
- Hanafi, Hasan, Al-Din wa Al-Tahrir Al-Thaqafi, (In Arabic), (Cairo, Dar Al-Shuruq, 1996).
- Hanafi, Hasan, Al-Wahi wa Al-Waqi – Tahlil Al-Madmun, (In Arabic), (Syria: Markaz Al-Naqid Al-Thaqafi 2010), 1st ed..
- Hanafi, Hasan, Muhadarah lahu fi Jamiyyat Ilmaniyyun bi Masr, (In Arabic), (https://www.youtube.com/watch?v=IAvfiJP1K60)
- Hume, David, A Study in the Human Genome, translated by Dr. Yousef Wahba, (Beirut: Dar Al-Farabi, 2008).
- Ibn Taymiyyah, Ahmed, Majmu' Al-Fatawa, (In Arabic), (Madinah: Majma Al-Malik Fahad, 1995), 1st ed..
- Kursani, S. (2018). Salafi pluralism in national contexts: The secular state, nation and militant islamism in kosovo, albania, and macedonia. Journal of Southeast European and Black Sea, 18(2), 301-317.

  doi:10.1080/14683857.2018.1474548
- Tafazani, Sadaddin, Sharh Al-Aqaid Al-Nasafiyyah, (In Arabic), (Malilah, Algeria, Dar Al-Huda, 2000).